

الوافي في الوفيات

حَبِّ رَسُولِ A .

زيد بن حارثة أبو أسامة الكلبي مولى رسول A وحَبِّهُ وأوَّلُ من أسلم بعد خديجة في قول وشهد بدراً وما بعدها واستخلفه رسول A على المدينة في غزوة المريسيع وأمَّره على سبع سرايا وكان مقدِّم الأمراء في جيش مؤتة وبها استشهد وكانت أمُّه سعدى بنت ثعلبة من طيِّ . زارت قومها فأغیر عليهم فسبوا زيدا صغيراً فبيع بمكَّة فاشتريته خديجة فوهبته للنبي A فأعتقه وتبنَّاه فصار يُدعى زيد بن محمد حتى نزلت " أَدْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ " وآخى النبي A بينه وبين حمزة وزوجَّه حاضنته أمَّ أيمن فولدت له أسامة بن زيد ثم زوجَّه بنت عمِّته زينب بنت جحش وزيد هذا هو المذكور في سورة الأحزاب . وقال الزهري : ما علمنا أحداً أسلم قبل زيد بن حارثة ! .

وكان رسول A إذا لم يغز لم يعط سلاحه إلاَّ عليّاً وزيداً وفي زيد يقول آبوه حارثة بن شراحيل حين فقده من الطويل :

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلَ ... أَحْيَى يُرَجَّى أَمْ أَتَى دُونَهُ الْأَجَلَ .

فَوَيْلَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ سَائِلاً ... أَغَالَتِكَ سَهْلُ الْأَرْضِ أَمْ غَالَتِكَ الْجَبَلَ .

فِيَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ لَكَ الدَّهْرَ رَجْعَةً ... فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا رَجُوعُكَ لِي بِجَلٍّ .

تُذَكِّرُنِيهِ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا ... وَتَعْرِضُ ذِكْرَاهُ إِذَا قَارَبَ الطَّافِلَ .

وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ هَيَّجَنَ ذِكْرَهُ ... فِيَا طُولَ مَا خَزَنِي عَلَيْهِ وَيَا وَجَلَ .

سَأَعْمَلُ نَصَّ الْعَيْسِ فِي الْأَرْضِ جَاهِداً ... وَلَا أَسْأَمُ التَّطَوَّافَ أَوْ تَسْأَمُ الْأَبْلَ .

حَيَاتِي أَوْ تَأْتِي عَلَيَّ مَنِيَّتِي ... وَكُلَّ أَمْرٍ فَاِنْ وَإِنْ غَرَّهَ الْأَمَلُ .

سَأُوصِي بِهِ قَيْساً وَعَمراً كِلَيْهِمَا ... وَأُوصِي يَزِيداً ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ جَبَلَ .

يعني بذلك جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أكبر من زيد ويعني يزيد أخا زيد لأمِّه وهو يزيد بن كعب بن شراحيل فحجَّ ناس من كلب فرأوا زيدا فعرفهم وعرفوه فقال لهم : أَبْغُوا أَهْلِي

هَذِهِ الْأَبْيَاتُ فَإِنَِّّي أَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ جَزَعُوا عَلَيَّ فَقَالَ مِنَ الطَّوِيلِ :

أَحْزَنُّ إِلَى قَوْمِي وَإِنْ كُنْتُ نَائِياً ... فَإِنَِّّي قَعِيدُ الْبَيْتِ عِنْدَ الْمَشَاعِرِ .

فَكُفُّوا مِنَ الْوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَاكُمْ ... وَلَا تَعْمَلُوا فِي الْأَرْضِ نَصَّ الْأَبَاعِرِ .

فَإِنَِّّي بِحَمْدِ A فِي خَيْرِ أَسْرَةٍ ... كَرَامٍ مَعْدٍ كَابِراً بَعْدَ كَابِرٍ .

فَانْطَلِقِ الْكَلْبِيُّونَ فَأَعْلَمُوا أَبَاهُ فَقَالَ : ابْنِي ! .

وَرَبَّ الْكَعْبَةِ وَوَصَفُوا لَهُ مَوْضِعَهُ وَعِنْدَ مَنْ هُوَ فَخَرَجَ حَارِثَةُ وَكَعْبُ ابْنَا شَرَا حِيلَ لِفِدَائِهِ

وقدما مكّة ودخلا على رسول الله ﷺ المسجد فقالا : يا ابن عبد المطلب : يا ابن سيد قومه
أنتم أهل حرم الله وجيرانه ! .
تفكّون العاني وتطعمون الأسير جئناك في ابنا عندك فامدّنا عنيا وأحسن إلينا في
فدائنا ! .

قال : من هو ؟ قال : زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ : فهلاّ غير ذلك ؟ قال : ما هو ؟ قال
أُمدّوه وخيرّوه فإن أختاركم فهو لكم وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من
اختارني أحداً ! .

قالا : قد زدتنا على النصف وأحسنّت فدعاه فقال : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم قال : من
هذا ؟ قال : أبي وهذا عمّي قال : فأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك فاخترني أو
اخترهما قال زيد : ما أنا بالذي أختار العبوديّة على الحرّية وعلى عمّك ؟ قال : نعم ! .

قد رأيتُ من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي إختار عليك أحداً أنت مني مكان الأب والعم
فقالا : ويحك يا زيد أختار عليه أحداً أبداً ! .

فلما رأى رسول الله ﷺ ذلك أخرجه إلى الحجر فقال يا من حضر ! .

اشهدوا أن زيدا ابني يرثني وأرثته فلمّا رأى ذلك أبوه وعمّه طابت نفوسُهُما
فاصرفا